الْقَوَاعِدُ الْعَشَرَةُ

لِحُجَّةِ الْإِسْلَامِ أَبِي حَامِدٍ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْغَزَّالِيِّ الطُّوسِيِّ

نَسَخَ مَتْنَهَا وَوَضَعَ حَرَكَتَهُ وَأَجَازَ بِهِ أَمِيرٌ كَظْمَ

الحمد لله الذي تتصل بمناولة بركته سلسلة محبة عباده في ثبت مساندهم. اللهم صل وسلم وبارك على حبيبنا سيدنا مولانا محمد النبي المصطفى أحسن ما تدبج لطائفه في العوالي والنوازل وعلى آله المطهرين كما صليت وباركت على خليلك أواه منيب إبراهيم وعلى آله. في العالمين إنك حميد مجيد.

أما بعد، فقد طبع هذا الكتاب اللطيف النافع القواعد العشرة لحجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي –رحمة الله عليه– مع الكتب الأخرى تحت عنوان كتاب واحد كمجموعة رسائله أو نحوها ولم أجد موضع أو موقع أو مصدر أفرده. فأجرده عنه لأجعله كتابا مفردا يسهل من يبحث عنه ومن يريد الاستفادة منه والرواية به.

فإني أمير كظم أجزت بهذا الكتاب جميعَ من قرأه وسمع قراءته ودرسه ودرَّسه وذاكره بكل حرف فيه من أوله إلى خاتمه راجعا إلى النص العربي الذي نسختُهُ هنا فلا تصح هذه الإجازة بالرجوع إلى غير ما نسختُ هنا كالرجوع إلى النص في موقع شبكة أو كتاب آخر أو بالرجوع إلى النص غير العربي كالنص المترجم. انتبه أيها الذي يرغب فيه!

فأرويه عن محمود سعيد مدوح، عن عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري، عن محمد إمام السقا بن البرهان إبراهيم السقا، عن أبيه، عن ولي الله ثعيلب الفشني، عن الشهابين أحمد بن عبد الفتاح الملوي وأحمد بن الحسن الجوهري، عن عبد الله بن سالم البصري، عن البرهان إبراهيم بن حسن الكوراني، عن ملا محمد الشريف بن ملا يوسف بن محمود بن ملا كمال الدين الصديقي الكردي الكوراني، عن محمد بن علي الحكمي اليمني، عن الشهاب أحمد بن حجر الهيتمي المكي، عن زكريا بن محمد الأنصاري، عن ابن حجر العسقلاني، عن أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد التنوخي، عن التقي أبي الفضل سليمان بن حمزة المقدسي الدمشقي الجماعيلي، عن أبي حفص عمر بن أبي المجد كرم الدينوري، عن أبي الفرج عبد الخالق ابن أحمد بن عبد القادر بن يوسف اليوسفي البغدادي، عن الؤلف. فقال:

الْحَمْدُ للهِ الْمُوَفِّقُ الَّذِي وَفَّقَ قُلُوبَ الْأَحْبَابِ لِمُوَافَقَةِ مَرَاسِيمِ السُّنَّةِ وَأَحْكَامِ الْكِتَابِ، الْفَتَّاحُ الَّذِي فَتَحَ بَصَائِرَ أَبْصَارِهِمْ فَأَبْصَرُوا مَوَاقِعَ نِبَالِ الْارْتِيَابِ فِي مَقَاتِلِ أَهْلِ الْحِجَابِ، الْمُلْهِمُ الَّذِي أَلْهَمَهُمْ الْحُجَّةَ الْبَيْضَاءَ بِالْمَحَجَّةِ الْخَضْرَاءِ فَأَصَابُوا أَبْكَارَ الصَّوَابِ، نَادَاهُمْ بِلِسَانِ شَأْنِ الْمَحَبَّةِ مِنْ جِنَانِ الْمَوَدَّةِ: كَيْفَ يَنَامُ الْمُحِبُّ عَنْ مُشَاهَدَةِ الْأَحْبَابِ؟

فَأَكْحَلُوا نَوَاظِرُهُمْ بِإِثْمِدِ السُّهَادِ وَجَفَوْا مِنْ مَضَاجِعِهِمْ أَطْيَبَ الرُّقَادِ. وَجَدُّوا فِي أَثَرِ الْإِطْلَابِ مَعَ الطُّلَّابِ وَجَعَلُوا نَهَارَهُمْ لَيْلًا وَأَفْرَاحَهُمْ وَيْلًا وَأَرْخَوْا لِعِزِّ مَوْلَاهُمْ ذَيْلًا وَتَذَلَّلُو عَلَى الْأَعْتَابِ فَأَقَامَهُمْ فِي الْحَاضِرَةِ وَالْبَادِيَةِ وَأَسْمَعَهُمْ أَوَامِرَهُ وَنَوَاهِيَهُ.

فَيَا سَعَادَتَهُمْ بِتَوْفِيقِهِمْ لِوُقُوفِهِمْ عَلَى الْأَبْوَابِ وَكُشِفَ لَهُمُ الْحِجَابُ عَنْ جَمَالِهِ وَكُشِطَ الضَّبَابُ عَنْ مَحَاسِنِ أَثْوَابِ مَقَالِهِ فَرَدُّوا حَيَارَى بِمَحَاسِنِ الْأَتْرَابِ. أَجْرَوْا مَدَامِعَهُمْ جَرَيَانَ الْأَنْهَارِ وَأَبْدَوْا فَجَائِعَهُمْ عَنْ زَمَنٍ تَوَلِّي مَنْ جَرَّ الْإِزَارَ عَلَى الْأَوْزَارِ وَطَرَقُوا الْبَابَ فَأَتَاهُمُ الْجَوَابُ: "يَا عِبَادِي! أَنَا التَّوَّابُ عَلَى مَنْ أَقْلَعَ عَنِ الْحُوْبَةِ وَإِلَيَّ أَنَابُ". رَوَّقَ لَهُمْ فِي دَارِ الْوِصَالِ شَرَابَ الْاتِّصَالِ فَنَاهِيكَ بِهِ مِنْ شَرَابٍ، فَتَلَذَّذُوا بِمُنَاجَاتِهِ. وَغَابُوا عَنْ حُضُورِهِمْ فِي حَضْرَاتِهِ وَغَدَا كُلٌّ بِعَقْلِهِ الْمُصَابَ. فَأَيْنَ الْمُهَاجِرُ فِي الْهَوَاجِرِ وَمِنْ أَكْحَلِ الْمَحَاجِرِ بِالْخَنَاجِرِ؟ طُوبَاهُ قَدْ فَازَ بِطَيْبِ الْخِطَابِ.

قَدْ كَشَفَ الْمَوْلَى مَنِيعَ الْحِجَابِ ❁ وَأَسْمَعَ الْأَحْبَابَ طَيْبَ الْخِطَابْ
وَأَحْضَرُوا حَضْرَةَ أُنْسٍ بِهَا ❁ غَابُوا فَعَاشُوا بَعْدَ مَوْتِ الْعِقَابْ
وَفِي مَقَامِ الْقُرْبِ أَدْنَاهُمْ ❁ لَمَّا سَقَاهُمْ فِي الْمَقَامِ الشَّرَابْ
وَأَتْحَفُوا مِنْ فَضْلِهِ بِالْوَفَا ❁ مَحْضًا مِنَ الْأَمْنِ أَجَلَّ الْكِتَابْ
هُمُ الْمُلُوكُ الشُّمُّ مِنْ خَلْقِهِ ❁ ضَنَائِنَ الْحَقِّ لِعِزِّ الْحِجَابْ

قَدْ تبعُوا نَهْجَ سَبِيلِ الهُدَى ❁ وَاتَّبَعُوا حُكْمَ نُصُوصِ الْكِتَابْ
وَاسْتَمْسَكُوا بِسُنَّةِ خَيْرِ الْوَرَى ❁ وَحَاسَبُوا مِنْ قَبْلِ يَوْمِ الْحِسَابْ
وَنَاقَشُوا أَنْفُسَهُمْ خِيفَةً ❁ مِنْ غَضَبِ الْحَقِّ وَهَوْلِ الْعِقَابْ
إِذَا أَتَى اللَّيْلُ تَرَاهُمْ بِهِ ❁ فَرْحَى لِجَمْعِ الْفَرْقِ تَحْتَ النِّقَابْ
يُحْيُونَهُ بِالذِّكْرِ كَيْ يُحْيِيهِمْ ❁ بِذِكْرِهِ فِي جَمِيعِ أَهْلِ الثَّوَابْ
يَرَاهُمُ الْحَقُّ يُبَاهِي بِهِمْ ❁ بِهِمْ عَنِ الْخَلْقِ يَزُولُ الْعَذَابْ
عَلَيْهِمْ مِنِّي سَلَامٌ سَمَا ❁ مَا لَمَعَ الْبَرْقُ أَوْ أَهَلَّ السَّحَابْ

أَحْمَدُهُ حَمْدًا أَسْتَوْجِبُ بِهِ الثَّوَابَ وَأَشْكُرُهُ تَزِيدُ بِهِ زِيَادَاتُ أُولِي الْأَلْبَابِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُنَزِّهُهُ عَنِ الْحُلُولِ وَالْانْحِيَازِ وَالظُّهُورِ وَالْبُطُونِ وَالْابْتِدَاءِ وَالْانْتِهَاءِ والْاشْتِهَارِ والْاحْتِجَابِ وَتَقَدَّسَتْ ذَاتُهُ الْمُقَدَّسَةُ عَنْ مَقَالَاتِ أُولِي الْجَهَالَاتِ مِنَ الْكَمِّ وَالْكَيْفِ وَالْأَيْنِ وَالْمَكَانِ وَالزَّمَانِ والْإِيَابِ وَالذِّهَابِ وَأَمْجَدَهُ بِمَا أَبْرَزَهُ بِحِكْمَتِهِ مِنَ الْأَكْوَانِ عَنِ التَّفَكُّرِ وَالتَّدَبُّرِ وَالْمُعَاوَنَةِ وَالْمُشَاوَرَةِ وَالرَّاحَةِ وَالنَّصْبِ والْانْتِصَابِ وَأَعْظَمَهُ عَنِ التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ وَالتَّعْدِيلِ وَالتَّحْوِيلِ وَالتَّبْدِيلِ وَالتَّرْكِيبِ وَالْارْتِكَابِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَشْرَفُ مَحْبُوبٍ وَأَعْظَمُ الْأَشْرَفِ وَأَخَصُّ الْأَحْبَابِ. أَرْسَلَهُ بِفَضْلِ الْكِتَابِ وَفَصْلِ الْخِطَابِ، وَأَيَّدَهُ بِأَفْضَلِ كِتَابٍ وَأَجْمَلِ خِطَابٍ، أَفْصَحُ الْأَعْرَابِ بِالْإِعْرَابِ وَالْاخْتِصَارِ وَالْإِسْهَابِ، وَأَعْجَزَ بُلَغَاءِ الْأَحْزَابِ وَمَغَاوِي الْأَعْرَابِ وَأَعْقَبِ الْأَعْرَابِ بِالْعِقَابِ عَلَى الْأَعْقَابِ وَكَشَفَ عَنْ وَجْهِ نُورِ الْإِسْلَامِ مُكَفِّرَاتِ ظُلُمَاتِ الْإِشْرَاكِ وَالضِّبَابِ. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالْأَحْبَابِ وَعَلَى الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْأَقْطَابِ أَبِي بَكْرٍ وَأَبِي حَفْصٍ وَأَبِي عَمْرٍو وَأَبِي تُرَابٍ صَلَاةً تُحِلُّنَا دَارَ النَّعِيمُ وَتُخْرِجُنَا عَنْ دَارِ الْعَذَابِ.

أَمَّا بَعْدُ، نَفَحْنَا اللهُ وَإِيَّاكَ بِنَسَائِمِ قُرْبِهِ وَسَقَانَا وَإِيَّاكَ مِنْ كَاسَاتِ حُبِّهِ فَإِنَّا بَيَانَ كَيْفِيَّةِ طَرِيقِنَا وَبُرْهَانِ أَهْلِ تَحْقِيقِنَا مَبْنِيٌّ عَلَى عَشَرَةِ قَوَاعِدَ تُوقِظُ النَّائِمَ وَتُقِيمُ الْقَاعِدِ.

الْقَاعِدَةُ الْأُولَى: النِّيَّةُ الصَّادِقَةُ الْوَاقِعَةُ مِنْ غَيْرِ الْتِوَاءِ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى". وَالْمُرَادُ بِالنِّيَّةِ عَزْمُ الْقَلْبِ، وَبِالصَّادِقَةِ إِنْهَاؤُهَا لِلْفِعْلِ وَالتَّرْكُ لِلرَّبِّ، وَبِالْوَاقِعَةِ اسْتِمْرَارُهَا عَلَى هَذِهِ الْخُلَّةِ الْأَثِيرَةِ لِأَنَّ لِلتَّكْرَارِ تَأْثِيرًا لَيْسَ بِغَيْرِهِ. وَعَلَامَتُهَا عَدَمُ تَغْيِيرِ جَزْمِهِ بِأَعْرَاضٍ فَانِيَةٍ وَبَاقِيَةٌ فِي عَزْمِهِ فَإِنَّ الْعَمَلَ لِلْحَقِّ وَلَا بُدَّ مِنَ الْحَقِّ. فَلَا يَتْرُكُ مَا عَزَمَ عَلَيْهِ لِلْخَلْقِ.

الْقَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ للهِ مِنْ غَيْرِ شَرِيكٍ وَلَا اشْتِرَاكٍ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "اعْبُدِ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ". وَعَلَامَتُهُ أَنْ لَا يَرْضَى بِغَيْرِ الْحَقِّ وَيَرَى مَا سِوَاهُ قَاطِعًا فَيَجْتَنِبَ الْخَلْقَ لِقَوْلِ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ: تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ". وَلْيَتْرُكْ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَمِيعَ أَمَانِيهِ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ". وَآكَدُهَا الشُّبُهَاتُ فَاحْذَرْهَا أَنْ تُصِيبَكَ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ".

فَإِذَا صَحَّتْ هَذِهِ الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ أَثْمَرَتْ أَغْصَانُهَا لَكَ الْقُرْبَى، فَتَكُونُ بِالصُّورَةِ فِي الدُّنْيَا وَبِالْمَعْنَى فِي الْعُقْبَى. وَعَلَى قَدْرِ هِمَّتِكَ وَثَبَاتِكَ عَلَى الْفِعْلِ وَالتَّرْكِ تَحْظَى مِنَ الْحَدِيثِ الْمَشْهُورِ: "كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ وَعُدَّ نَفْسَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ".

وَعَلَامَة الْقُنَاعَةِ الاكْتِفَاءِ بِمَا يَذْهَبُ الْحَرُّ وَالْبَرْدُ وَالْمُسْبَغَةُ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "حَسْبُ ابْنُ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقْمِنَ بِهَا صُلْبَهُ". فَلَا يَمِيلُ إِلَى صَاحِبِ الْقَمْحِ صَاحِبُ الشَّعِيرِ وَعَلَى النُّقْرَةِ صَاحِبُ النَّقِيرِ وَالْمُسْغَنِي بِالْحَلَالِ لَايَقْصُدُ الْمُبَاحَ وَلَا يَخْفِضُ إِلَى الشُّبْهَاتِ الْجُنَاحَ. وَعَلَامَةُ الْغَرِيبِ الْحِمْلُ الْخَفِيفُ وَعَدَمُ الائْتِلَافِ بِالثَّقِيلِ وَتَرْكُ

السُّؤَالِ فَإِنَّهُ يَأْوِي ظِلِّ الدَّخِيلِ. وَعَلَامَةُ عَابِر السَّبِيلِ إِسْرَاعُ الْإِجَابَةِ وَرِضَاهُ بِمَا سِيقَ إِلَيْهِ وَاسْتَطَابَهُ. وَعَلَامَةُ الْمَيِّتِ إِيثَارُ مُهِمَّاتِ دِينِهِ وَالْمَسْأَلَةُ فِي غَوَالِبِ حِينِهِ.

الْقَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ: مُوَافَقَةُ الْحَقِّ بِالْاتِّفَاقِ وَالْوِفَاقِ وَمُخَالَفَةُ النَّفْسِ بِالصَّبْرِ عَلَى الْفِرَاقِ وَالْمَشَاقِّ وَتَرْكِ الْهَوَى وَجَفَاءِ الْمَلَاذِّ والْمَكَانِ وَالْخِلَافِ. وَمَنْ تَعَوَّدَهُ، خَرَجَ عَنِ الْحِجَابِ وَدَخَلَ فِي الْانْكِشَافِ. فَعَادَ نَوْمُهُ سَهْرًا وَاخْتِلَاطُهُ عُزْلَةً وَشَبْعُهُ جُوعًا وَعِزَّتُهُ ذِلَّةً وَمُكَالَمَتُهُ صُمْتًا وَكَثْرَتُهُ قِلَّةً.

الْقَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ: الْعَمَلُ بِالْاتِّبَاعِ لَا الْابْتِدَاعِ لِئَلَّا يَكُونَ صَاحِبَ هَوًى وَلَا يَزْهُو بِرَأْيِهِ زَهْوًا فَإِنَّهُ لَا يُفْلِحُ مَنِ اتَّخَذَ لِنَفْسِهِ فِي فِعْلِهِ وَلِيًّ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "عَلَيْكُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا".

الْقَاعِدَةُ الْخَامِسَةُ: الْهِمَّةُ الْعُلْيَا الْمُجَرَّدَةُ عَنْ تَسْوِيفٍ يُفْسِدُكَ. فَقَدْ جَاءَ: "لَا تَتْرُكْ عَمَلَ يَوْمِكَ لِلْغَدِ لِأَنَّ بَعْضَ الْأَعْمَالِ مِنْ بَعْضِهَا وَإِلَّا فَمَنْ رَضِيَ بِالْأَدْنَى حَرُمَ الأَعْلَى". وَالْكَامِلُ الْمُتَّبِعُ هُوَ السُّنِّيُّ، لَا الْمُتَشَيِّعُ والْمُعْتَزِلُ وَالْمُبْتَدِعُ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

"يَا أَحْبَابِي، عَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ". قَالُوا: "يَا رَسُولُ اللهِ، وَمَا السَّوَادُ الْأَعْظَمُ؟". قَالَ: "مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي"[1].

الْقَاعِدَةُ السَّادِسَةُ: الْعَجْزُ وَالذِّلَّةُ، لَا بِمَعْنَى الْكَسَلِ فِي الطَّاعَاتِ وَتَرْكِ الْجِهَادِ، بَلْ عَجْزُكَ عَنْ كَلِّ فِعْلٍ إِلَّا بِقُدْرَةِ الْحَقِّ الْجَوَادِ وَأَنْ تَرَى الْخَلْقَ بِعَيْنِ التَّوْقِيرِ وَالْاحْتِرَامِ فَإِنَّ بَعْضَهُمْ وَسَائِطُ بَعْضٍ إِجْلَالًا لِحَضْرَةِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ لِأَنَّ سُنَّةَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِذَا أَرَادَ شَيْئًا، مَا أَضَافَهُ إِلَيْهِ بِنَفْيِ الْوَسَائِطِ، وَإِنْ أَرَادَ جَلَالَ حَضْرَتِهِ تَعْظِيمًا، أَضَافَهُ لِغَيْرِهِ رِعَايَةً لِلضَّوَابِطِ.

وَإِذَا عَلِمْتَ أَنَّ الْكُلَّ بِيَدِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَالْمَرْجِعَ إِلَيْهِ وَتَكَبَّرْتَ، فَقَدْ تَكَبَّرْتَ عَلَيْهِ إِلَّا بِأَمْرٍ وَصَلَ إِلَيْكَ مِنْ لَدَيْهِ. فَاجْعَلْ عَجْزَكَ فِي جَنْبِهِ وَمَسْكَنَتَكَ لَهُ بِالْاعْتِذَارِ وَلَا تَتَصَوَّرْ قُدْرَةً لَكَ فَإِنَّهَا مُنَازَعَةٌ فِي الْاقْتِدَارِ.

الْقَاعِدَةُ السَّابِعَةُ: الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ مَعْنًى وَعَدَمُ الْاطْمِئْنَانِ بِجَلَالِ الْإِحْسَانِ إِلَّا عِنْدَ الْعَيَّانِ. فَحَسِّنْ ظَنَّكَ مِنْكَ بِالْجَوَادِ الْحُسَانِ.

[1] قال أمير كظم: ولفظ "عليكم السواد الأعظم" في سنن ابن ماجه فليس فيه ذكر "يا أحبابي". فلفظ: "يا رسول الله، وما السواد الأعظم" إلى "ما أنا عليه وأصحابي" قريب مما رواه الآجري في الشريعة.

الْقَاعِدَةُ الثَّامِنَةُ: دَوَامُ الْوِرْدِ إِمَّا فِي حَقِّ الْحَقِّ أَوْ فِي حَقِّ الْعِبَادِ فَإِنَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ وِرْدٌ، فَمَا لَهُ مِنَ الْمَوَارِدِ إِمْدَادٌ. فَالْمُدِيمُ يَمَلُّ، الْحَقُّ يَمَلُّ بِمَلَالِهِ بِخِلَافِ الَّذِي يُغِيثُ بِأَعْمَالِهِ وَأَقْوَالِهِ فَإِنَّ النَّفْسَ تَنْبَسِطُ بِذَلِكَ جهْرًا وَسِرًّا وَتُرَاعِي حُقُوقَ الْعِبَادِ كَمَا يَتَوَقَّعُ مِنْهُمْ خَيْرًا وَشَرًّا فَيُحِبُّ وَيَبْغُضُ لَهُمْ مَا يُحِبُّ وَيَبْغُضُ لِنَفْسِهِ خَيْرًا وَشَرًّا وَيَعْمَلُ للهِ تَعَالَى مَا يَرْضَى كَمَا يُحِبُّ أَنْ يَفعَلُ اللهُ بِهِ مَا يَرْضَى.

الْقَاعِدَةُ التَّاسِعَةُ: الْمُدَاوَمَةُ عَلَى الْمُرَاقَبَةِ وَلَا يَغِيبُ عَنِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى طَرْفَةُ عَيْنٍ. فَمَنْ دَاوَمَ عَلَى مُرَاقَبَةِ قَلْبِهِ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَنَفَى غَيْرَ اللهِ، وَجَدَ اللهَ وَإِحْسَانَهُ وَعِلْمَ الْيَقِينِ يَحْصُلُ ذَلِكَ لَكَ بِجُمْلَتِهِ وَهُوَ أَنْ تَرَى الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ وَالْأَعْيَانَ بِتَحْرِيكِهِ وَتَسْكِينِهِ وَقُدْرَتِهِ سُبْحَانَهُ، لَا يَسْتَغْنِي عَنْهُ شَيْءٌ. ثُمَّ تَزِيدُ مُرَاقَبَتُهُ إِلَى أَنْ تَتَرَقَّى إِلَى عَيْنِ الْيَقِينِ، ثُمَّ يَفْنَى عَنْ ذَلِكَ بِهِ. وَذَلِكَ حَقِيقَةُ الْيَقِينِ. فَيَقُولُ: "مَا رَأَيْتُ شَيْئًا إِلَّا وَرَأَيْتُ اللهَ فِيهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْقَيُّومُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ بِقَيُّومِيَّتِهِ وَذَلِكَ الشَّيْءُ هُوَ الْقَائِمُ بِأَمْرِهِ وَبِقُدْرَتِهِ عَلَى حَسَبِ الْمُشَاهَدَةِ وَالْمُحَاضَرَةِ. فَتَأَدَّبْ مَعَ اللهِ وَعَاشِرْ أَحْسَنَ الْمُعَاشَرَةِ. قَال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي"[2].

---

[2] قال أمير كظم: ضعيف من جميع الطرق. انظر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للحافظ السخاوي.

الْقَاعِدَةُ الْعَشَرَةُ: عَلِمَ مَا يَجِبُ الْاشْتِغَالُ بِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا اجْتِهَادًا لِأَنَّ مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ اسْتَغْنَى عَنِ الطَّاعَةِ فَهُوَ مُفْلِسٌ مُعَادًا لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ لَا رَبَّ سِوَاهُ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾.

فَهَذَا مَا بَيَّنْتُ عَلَى أَعْمِدَةِ قَوَاعِدِهِ تَصَوُّرًا مِنْ غَيْرِ قُصُورٍ وَأَسَّسْتُ عَلَيْهِ شَوَامِخَ الْحُجَّارِ لِرُبَّاتِ الْحُجُورِ وَحَرَثْتُهُ بِمِحْرَاثِ فَدَنٍ وَبَذَرْتُهُ بِصُنُوفِ حُبُوبِ السَّعَادَةِ وَغَرَسْتُ فِي فُرَادِسِهِ مَغَارِسَ الْإِذْكَارِ وَأَجْرَيْتُ فِي جَنَّاتِهِ مِنَ الْأَوْرَادِ وَالْأَنْهَارِ وَفَرَشْتُهُ بِشَقَائِقِ نُعْمَانِ الْمُجَاهَدَةِ وَمَهَّدْتُهُ بِحَدَائِقِ حَقَائِقِ الْمُكَابَدَةِ رَاجِيًا حَصَادَ زَرْعِي بِمَنَاحِلِ الْهِمَمِ وَقَاصِدًا غَنِيمَةَ إِنْفَاقِي مِنْ مَوَاهِبِ الْكِرَامِ. وَاللَّهُ تَعَالَى يُزَكِّيهِ وَيُرَبِّيهِ وَيُرْتِعُ فِيهِ مَنْ ظَهَرَ فِيهِ وَمَنِ الْتَحَقَ بِهِ مِمَّنْ يُحْيِيهِ. إِنَّهُ الْجَوادُ الْكَرِيمُ الْبَرُّ الرَّحِيمِ.

والسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى فَمَا ابْتَدَعَ وَنَفَعَ وَانْتَفَعَ وَلَحَقَ بِعِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ وَحِزْبِهِ الْمُفْلِحِينَ وَرَحْمَتِهِ وَبَرَكَاتِهِ. وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نُورِ أَنْوَارِ الْمَعَارِفِ وَسِرِّ أَسْرَارِ الْمَعَارِفِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَتَابِعِي سَبِيلِهِ وَحِزْبِهِ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ وَتَعُمُّ الْبَرَكَاتُ. آمِينَ.